الأمراض والأوبئة وأثرهما على الحياة الاجتماعية لبلاد المغرب العربي في العصور الإسلامية
دراسة تاريخية

أ.م.د.عامر حميد حمود
الجامعة المستنصرية/ كلية التربية الأساسية

Ministry of Higher Education and Scientific Research
Diseases and epidemics and their impact on the))
((social like of the Maghreb in the Islamic ages
Historical Study

Assistant prof. Dr.Amer Hamid Hammod
AL.Mustansiriya university
College of Basic Education

ملخص البحث

إن سلامة المجتمع تعتمد على سلامة بيئته، وتعتمد كذلك على عوامل طبيعية ، بشرية منها واقتصادية . وللعوامل الاقتصادية تأثير كبير على سلامة المجتمع ، إذ أن للازدهار الاقتصادي دور في نمو مجتمع سليم بعيداً عن حصول المجاعات التي تؤدي إلى حصول الأمراض فتسبب الأوبئة .لقد تأثرت الحياة الاجتماعية في بلاد المغرب مما حصل لها عند حصول الكساد الاقتصادي والذي سبب حصول المجاعات نتج عن ذلك وقوع الأمراض الوبائية على مدى تاريخه الإسلامي .

كما أثر انتشار الأمراض الوبائية على الحياة الثقافية كذلك وذلك بسبب موت الكثير من العلماء والفقهاء وعزوف اعداد كبيرة من المتعلمين على الذهاب إلى العلماء للتزود بالعلوم خشية الأوبئة .

((Abstract))

The safety of society depends on the integrity of its environment, as well as on natural and human factors, as well economic factors .Economic factors have a significant impact on the safety of society, as economic prosperity plays arole in the growth of a healthy society, far from starvation, which causes disease that cause epidemics and thus causing adefect in the structure of that society Ibn Khaldoun says :The criterion of differentiation between cities and the economy of their people, and the hypocrisy of market is in the calculus, in terms of both the number and the few, which means that the life is different in its standard of living at the expense of its economic activity. we find that Maghreb society has been affected by the techniques that surroundit, whether economic, political or other environmental factors, The spreand of diseases and their transformation into epidemics are the resultof the economic recession, which has led to famine and, in turn, causes diseases which caused disator for Maghreb society and had a bad impact on the scientific and cultural side and not on the health side only.

This research has thus been carried out to illustrate the extent to which human societies are effected by the volatility that surrounds them.

المقدمة

ان سلامة المجتمع وسلامة بيئته يعتمد على عدة عوامل، طبيعية منها أو بشرية، وكذلك طبيعة الحياة الاقتصادية، اذ يؤثر الازدهار الاقتصادي الى الرخاء المعاشي الذي ينعكس بالتالي على المستوى الصحي للمجتمع، ويكون العكس من ذلك. ويتدنى مستوى المعيشة اذا أصاب الجانب الاقتصادي التدهور لاسيما وقت الأزمات. يكون الانتعاش المعاشي للمجتمع وتتسع أمواله اذا عظم الدخل وازدادت الصادرات للدولة، وبالنتيجة ينعكس على واقع المجتمع اذ تتسع الخدمات التي تقدم له. يذكر ابن خلدون، ان معيار التفاضل بين المدن والامصار يكون في كثرة الرزق لأهلها، ونفاق الأسواق انما يكون في تفاضل العمران من حيث الكثرة والقلة. ومعنى ذلك ان الأمصار تتباين في

مستوى معيشتها على حسب نشاطها الاقتصادي.من هنا جاء اختيار موضوع البحث «الأمراض والأوبئة وأثرها على الحياة الاجتماعية بالمغرب العربي في عصورها الإسلامية» اذ ان بلاد المغرب العربي قد تأثر مجتمعه بالتقلبات الاقتصادية من حيث الازدهار والكساد، الذي أنعكس اما بشكل إيجابي أو بشكل سلبي على الواقع الصحي للمجتمع المغربي.لقد كان للمجاعات التي تعرض لها المغرب العربي في العصور الإسلامية الأثر السلبي على طبيعته وثقافته وتماسكه المجتمعي.ان أي ظاهرة علمية لكي نفهمها ونفهم ظروفها ووقعها على الناس يجب علينا دراستها الدراسة التاريخية وذلك لما للمؤرخ من بعد علمي في البحث الدقيق عن تلك الظواهر وآثارها التاريخية على اعتبار ان التاريخ وعاءً لكل العلوم.وقد لزم مني البحث تقسيمه الى مباحث ثلاث:**المبحث الأول:** العوامل المؤثرة على وجود الأمراض والأوبئة في البيئة المغربية.**المبحث الثاني:** الآثار الاجتماعية للأمراض والأوبئة على سكان المغرب.**المبحث الثالث:** التدابير التي أُتبعت لمواجهة الأمراض والأوبئة وطرق مكافحتها.

المبحث الأول
العوامل المؤثرة على وجود الأمراض والأوبئة في البيئة المغربية

لقد تضافرت عوامل عدة في البيئة المغربية ساعدت على ظهور الامراض وتحولها الى اوبئة سارية أثرت على المجتمع المغربي وسلوكياته ونشاطه وبالتالي كان لها تأثيراً كبيراً على نمو ازدهار الحياة العامة في مدن المغرب الإسلامي بعامة فكان لطبيعة بلاد المغرب الجغرافية من حيث خصوبة الأرض أو ملوحتها، ووفرة المياه النقية أو المياه الفاسدة، بالإضافة الى التنوع المناخي من حيث ارتفاع وانخفاض درجات الحرارة والرطوبة وتلوث الهواء ونقائه والتضاريس المختلفة، قد وفرة البيئة المساعدة لنشوء الأمراض والأوبئة.وقبل دراسة العوامل المؤثرة في وجود الامراض يجب بيان المعنى اللغوي والعلمي للوباء.

أولاً: الوباء في اللغة والعلم.

يعرف الوباء في اللغة (كل مرض عام)، فقد وَبِئَت الأرضُ تَوْبأُ فهي مَوْبُوءَةٌ اذا كَثُرَ مَرَضُها، وكذلك وُبِئَتْ تَوْبَأُ وَبَاءَةٌ فهي وَبِئَةٌ، وأوْبَأَتْ أيضاً فهي مُوبِئَةٌ، واسْتَوْبَأْتُ الأَرْضَ، وَجَدْتُها وَبِيئَةً[1].

أما مفهوم الوباء طبياً، فان المصنفات الطبية العربية الإسلامية في مختلف العصور الإسلامية لا تكاد تخلوا من تناول الأمراض ودراستها ، اذ ذكر ابن زهر ان الناس قد اعتادوا على اطلاق الوباء على الامراض التي تصيب أهل بلد من البلدان «ولهذا اذا كان الهواء فاسداً عم المرض اهل ذلك الموضع او عم أكثرهم»[2].وعرفه ابن خاتمة بقوله: «بأنه مرض عام للناس قَتال غالبا عن سبب مشترك»[3] ، فيما عرفه ابن الخطيب بقوله: «هو مرض حاد حار السبب سُمي المادة يتصل بالروح

بدءً بواسطة الهواء، ويسري في العروق فيفسد الدم ويحيل، رطوبات الى السُمية وتتبعه الحمى ونفث الدم، أو يظهر عنه خراج من جنس الطواعين»[٤].وقد اصطلح على الأوبئة أيضاً بالأمراض الوافدة ، وذلك «لأنها قادمة على الناس من بعد مع الهواء ليست من جهة مطعوم ولا مشروب ولا عرض نفساني وشبه ذلك»[٥].اذن لا تعارض فيما بين المفاهيم العلمية في تفسير مصطلح الوباء ، وكان الاتفاق على أنه مرض عام ناتج عن تلوث بيئي بسبب فساد الهواء نتيجة تحلل لمواد عضوية من جراء كثرة موت الحيوانات مثلاً، أو بسبب التغيرات المناخية التي تأتي عادةً بنواقل ورضية وبائية.

لقد تناول المؤرخون دراسة الأمراض الوبائية بشكل دقيق لكونها تؤرخ العوارض التي تحدث للدولة في أزمنة مختلفة، والمهم في تلك الدراسات أنها تضبط لنا الحدث أي زمن الوباء، على اعتبار أن المؤرخ معني بتدوين الأحداث التي تمر بها الدول والمجتمعات بشكل عام لكون التاريخ وعاء العلوم. اكد ابن خلدون على وجود الوباء بقوله: «فيكثر الهرج والقتل أو وقوع الوباء، وسببه في الغالب فساد الهواء بكثرة العمران، لكثرة ما يخالطه من العفن والرطوبات الفاسدة»[٦]. وكان السلاوي[٧] قد أرخ لحوادث وبائية كثيرة قد تعرضت لها بلاد المغرب الإسلامي.

ثانياً: العوامل المناخية.

١. التضاريس.للمناخ تأثير كبير على الحياة الاجتماعية والنشاط الحضاري، ويؤثر كذلك في طبائع الناس وعاداتهم. يذكر ابن خلدون ان الأقاليم المعتدلة يكون سكانها من البشر أعدل اجساماً والواناً واخلاقاً واديناً وأحوالاً[٨]، وفي نظره أن تلك الأقاليم هي صاحبة الحظ الأكبر من التحضر لما يتوفر فيها من العلوم والصنائع والمباني ومختلف الأقوات والفواكه والحيوانات[٩].أما الأقاليم غير المعتدلة، فسكانها أقل تحضراً ومعيشتهم في خصاصة، اذ يعتمدون في غذائهم على الذرى والعشب، وبناؤهم من الطين والقصب، ومعاملاتهم تعتمد على الناس أو الحديد أو الجلود[١٠].لقد ذكر رودولفو عن أبقراط قوله: «على من يرغب في البحث الصحيح في عالم الطب ان يفعل ما يلي: ينظر بعين الاعتبار في المقام الأول الى فصول السنة، والآثار التي يحدثها كلٌ منها، ثم بعدها الى الرياح، الساخنة والابردة، لاسيما تلك الشائعة في كافة الأمصار والبلدان، ثم الى تلك الخاصة بكل موضع من العالم على حدة وعلى ذات الوتيرة»[١١].ان اختلاف التضاريس وتنوعها، يؤثر على طبيعة العيش ونوع الغذاء، وذلك بين الصحراء والمناطق السهلية، وحتى بين البوادي والحواضر[١٢]. «ان الموقع الجغرافي وطبيعة التضاريس يتحكمان في نوعية المناخ السائد في أي بلد من البلدان»[١٣]. فالمناخ السائد في المغرب العربي يتغير تبعاً للقرب والبعد عن البحر، فيكون قليل الرطوبة وحرارته صيفاً ايضاً قليلة ، كما ان مدنه لا تتأثر برياح السموم الحارة التي تأتي من الصحراء لان جبال الأطلس تكون بمثابة الجدار الواقي، في حين نرى بعض المدن شتائها شديد البرودة كثير الثلوج والأمطار،

ولهذا فأن طبيعة المناخ تعمل على إعاقة ممارسة النشاط الزراعي، وعلى هذا الأساس يعمد سكان المدن الى تخزين المواد الغذائية في أهراء ومطامير تحسباً لمثل تلك الظروف(١٤).ذكر الوزان، حول مناخ المغرب، أن ميقات بدأ فصول السنة وانتهائها مشيراً الى بعض الاضطرابات المناخية التي تحدث وتؤدي الى حدوث المجاعات، التي تؤدي الى الفقر ثم الى الأمراض الوبائية(١٥)، ان هبوب الرياح القادمة من الصحراء والتي تتسم بالحرارة الشديدة والجفاف في غير فصل الصيف قد يؤدي الى فساد الغلة وتمنع الفواكه من النضوج، واذا استمر هبوب الرياح مدة طويلة فأنه يؤدي الى اتلاف المحاصيل الزراعية بل حرقها(١٦) .

٢. **المياه.**الماء العنصر الأساسي للحياة، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾(١٧)، وهو الأصل في توفر الغذاء، ووجود الحياة على سطح الأرض ،وانعدامه يؤثر سلباً على الحياة ،اذ تجد المناخ الصحراوي الذي يتميز صيفها بالارتفاع لدرجات الحرارة ويؤدي بدوره الى الجفاف فينعكس على وجود الحياة في الصحراء واستمرارها(١٨).لذلك فان وجود الماء قد ارتبط بالمدن واختيار مواضعها ارتباطاً وثيقاً ،على اعتبار انه عنصر الحياة ، ومن اهم السمات التي يتحدد من خلالها أهمية المدينة، فقد اعتبر العرب توفر الماء العذب الصالح للشرب من شروط وجود المدن(١٩)، ويجب ان يكون موضع المدن قريب من مشارب والمراعي والمحتطب(٢٠). وذكر ابن الربيع في ذلك: «سعة المياه المستعذبة»(٢١).لقد توفرت المياه في بلاد المغرب العربي بشكل متباين بين موضع وآخر، فمدينة بجاية(٢٢)على سبيل المثال لها «عينان أثنان من الماء أحدهما كبيرة، منها شرب أهل البلد، ولها نهر جار على نحو ميلين منها، يحتف به البساتين ليس الا أن يصب في البحر»(٢٣)، وكذلك اشتهرت مدينة تلمسان(٢٤)، بوفرة وغزارة مياهها وذلك لكثرة أنهارها(٢٥) .وكانت مدينة القيروان تعاني من مشكلة الماء، وكان أهلها يعتمدون على الامطار، ذكر اليعقوبي عن مصادر مياههم بقوله: «وشربهم من ماء المطر من الأودية الى برك عظام يقال لها المواجل، ولهم وادٍ يسمى وادي السراويل في قبلة المدينة يأتي فيه ماء مالح يستعملونه فيما يحتاجون اليه»(٢٦).

ولأهمية الماء فقد جعلت السلطة في مدن المغرب ولاة الماء، أي يقومون بمتابعة عملية انسيابية الماء حسب حاجة الناس، فاستحدثت خطة صاحب المياه(٢٧).أن نقص الماء أو انعدامه يؤثر سلباً على الوجود الإنساني ،اذ يؤدي الى حصول المجاعة التي تفضي الى تفشي الأمراض وانتشار الأوبئة، ذكر السلاوي حصول القحط بعد نضوب الماء: «سنة ٢٥٣هـ كان ببلاد العدوى والأندلس قحط شديد نضبت منه المياه واستمر الى سنة ٢٦٠هـ»(٢٨)، وذكر ايضاً «وفي سنة ٢٦٠هـ عم القحط والغلاء جميع بلاد الأندلس والمغرب .... ثم كان بالمغرب والأندلس وباء عظيم مع غلاء في الأسعار وانعدمت الأقوات فهلك خلق كثير»(٢٩). وفي سنة ٦٢٠هـ/١٢٢٣م انحبس المطر مما أدى الى ارتفاع الأسعار، اذ ذُكر: «وفيها كان في الغرب من الغلاء مالا يُعبر عنه بحيث انهم اكلوا الميتة

جميعها وذلك ان المطر احبس عنهم من سنة ستة عشر الى سنة تسعة عشر وستمائة»[٣٠]، وكذا الحال في سنة ٦٣٧هـ/١٢٣٩م، كان القحط وقلة الأمطار[٣١].ووقع الوباء في عموم المغرب سنة ٩٢٧هـ/١٥٢٠م بسبب قلة الماء وانحباس المطر ،ذكر ابن القاضي: «كان بالمغرب غلاء عظيم ومجاعة مفرطة ووباء جارف ولم ينزل في هذه السنة نقطة مطر»[٣٢]. يشير ابن خلدون الى ذلك بقوله:«فطبيعة العالم في كثرة الأمطار وقلتها مختلفة والمطر يقوى ويضعف، ويقل ويكثر الزرع والثمار والضرع على نسبته»[٣٣].أن المغرب بعامة قد عرف سنوات مطيرة وأخرى جافة، نتج عنها حدوث القحط وأفضى الى الأمراض والأوبئة، اذ انها هددت حياة المجتمع. من جانب آخر فأن فساد المياه وتلوثها يتسبب بحدوث العديد من الأمراض والأوبئة والحميات الدقيقة والأورام الطاعونية والجرب، وكذلك تسبب الحصى في الكلى والمثانة لاسيما منها المياه الراكدة في المستنقعات والبرك والمتغيرة حد النتانة[٣٤].ومن المتغيرات المناخية التي تفضي الى المجاعات وتؤدي الى الأمراض والأوبئة، منها على سبيل المثال السيول والفيضانات، اذ تتسبب بأضرار اقتصادية تتمثل اساساً بإتلاف المزروعات ،فمثلاً السيل الذي حطم حملة أبي عنان المريني في سنة ٧٥٨هـ/١٣٥٦م[٣٥].

٣. الهواء.ان صلاح الهواء وفساده يشكل عامل رئيسي عن حدوث الأمراض وانتقالها كأوبئة بين صفوف المجتمع ،وذلك لأنه ينتقل بدون حدود بين المدن. ولكون جميع الناس يشتركون في استنشاقه ،فأن فساده يعني هلاكهم بالجملة[٣٦].لقد كان جودة الهواء عنصر مهم في اختيار مواضع المدن العربية الإسلامية ،اذ يجب أن يكون المكان مُعتدلاً وهواءه صالحاً[٣٧]. وأن فساد الهواء عامل أساسي لنقل الأوبئة ، وفساد الهواء تحمله عدة عوامل:

١. بفعل الرطوبة والحرارة الزائدتين وكثرة التعفن[٣٨].

٢. مخالطة الهواء لأبخرة حارة يابسة متعفنة.

٣. مخالطة الهواء لأبخرة السباخ والبطائح المتغيرة المياه والخنادق وأبخرة مناقع الكتان وأبخرة مواضع السروب واكداس الأزبال[٣٩]. ذكر ابن خلدون أن: «الوباء سببه في الغالب فساد الهواء لكثرة ما يخالطه من العفن والرطوبات الفاسدة»[٤٠]. وفساد الهواء ينتج أحياناً من تفسخ الحيوانات بعد موتها، اذ تتناثر جثثها فتتعفن مما تسبب الأمراض الوبائية التي تنتقل عبر الهواء ليصيب المجتمعات المدنية.ان اضطرابات فصول السنة وتبدلها قد يسبب الأمراض الوبائية، كأن يكون فصل الربيع بارداً يابساً، والخريف يكون على طبيعة الربيع والشتاء على طبيعة الصيف[٤١]. ويكون تأثير تغير الفصول على طبيعة الهواء، فمثلاً يتعفن الهواء اذا كانت السنة ربيعية، اذ يؤثر ذلك في الحيوان والنبات وحتى الانسان على حد سواء[٤٢]، كما ان تذبذب تساقط الأمطار يؤدي الى حدوث امراض وبائية، ففي أيام القحط يتغير الهواء ويفسد مما يسبب الأوبئة[٤٣].عموماً تكثر الأمراض الوبائية في أواخر فصل الصيف والخريف اكثر من باقي فصول السنة، يذكر ابن قيم الجوزية أن: «كثرة اجتماع

الفضلات المرارية الحادة وغيرها في فصل الصيف ، وعدم تحللها في آخره، وفي الخريف لبرد الجو وردغة الأبخرة والفضلات التي كانت تتحلل في زمن الصيف، فتنحصر وتسخن وتتعفن فتحدث الامراض العفنة، ولاسيما اذا صادفت البدن مستعداً قابلاً، رهلاً قليل الحركة كثير المواد، فهذا لا يكاد يفلت من العطب»(٤٤). كما أن صيف مناخ البحر الشامي(المتوسط) كان يمتاز بكثرة وقوع الأمراض والأوبئة(٤٥).

ثالثاً: المجاعة.أن وقوع الأمراض وحصول الأوبئة انما تحدث نتيجة ظهور المجاعة والتي من نتائجها السيئة ارتفاع أسعار المواد الغذائية، ذكر ابن خلدون: «فاذا فقد الاحتكار عظم توقع الناس للمجاعات فغلا الزرع، وعجز عنه أولو الخصاصة فهلكوا، أو كان بعض السنوات والاحتكار مفقود، فشمل الناس الجوع»(٤٦). من خلال ما ساقه أبن خلدون في هذا النص يمكن أن نستنتج أسباب المجاعات من جانبين:

١.الجانب البشري: ويتمثل بالسياسات المتبعة من قبل السلطات والتي تتمثل بفرض الضرائب الباهضة على الفلاحين والمزارعين والتي تؤدي بالنتيجة الى تدهور الواقع الزراعي هذا من جهة، ومن الجانب الآخر تعرض البلاد الى الحروب وحدوث الفتن ووقوع الأزمات السياسية المفروضة منها والمفتعلة.

٢. الجانب الطبيعي: وهذا مرتبط اكثر ما يكون بالعوامل المناخية التي تطرقنا لها فيما سبق.أن المعوقات الطبيعية أو البشرية لها الأثر السيء على الواقع البشري الذي ينعكس كواقع سيء على حدوث المجاعة فقد أشار ابن خلدون بقوله: «اعلم أن العدوان على الناس في أموالهم ذاهب بآمالهم في تحصيلها واكتسابها، لما يرونه حينئذ من أن غايتها ومصيرها انتهابها من أيديهم، واذا ذهبت آمالهم في اكتسابها وتحيلها انقبضت أيديهم عن السعي في ذلك، وعلى قدر الاعتداء ونسبته يكون انقباض الرعايا عن السعي في الاكتساب، فاذا كان الاعتداء كثيرا عاما في جميع أبواب المعاش كان القعود عن الكسب كذلك لذهابه بالآمال جملة بدخوله من جميع أبوابها وان كان الاعتداء يسيرا كان الانقباض عن الكسب على نسبته»(٤٧).لقد توالت على بلاد المغرب كوارث المجاعات عبر عصوره التاريخية التي أودت بالكثير من الأرواح، ففي سنة ٢٨٥هـ كانت «المجاعة الشديدة التي عمت جميع بلاد الاندلس وبلاد العدوى ..... ثم عقب ذلك وباء ومرض وموت كبير هلك فيه من الخلق مالا يحصى وكان يدفن في القبر الواحد عدد من الناس وقلة من يقوم بهم وكانوا يُدفَنون من غير غُسل ولا صلاة والأمر لله وحده»(٤٨). المجاعة سببٌ رئيسي لحصول المرض وانتقاله كوباء، ففي سنة ٥٨٨هـ حصلت المجاعة في مدينة بجاية أعقبها وباء شديد(٤٩).أن وقوع الأمراض والأوبئة بعد المجاعة ، انما أوقات المجاعة تفرض على الناس نمطاً غذائياً يكون في أغلبه غير خاضع للشروط الصحية ومنها اذا اشتدت المجاعة ، اضطر الناس الى أكل لحوم الجيف وبعض الأغذية التي لم

يعتادوا على أكلها[٥٠]. وكان أهل تلمسان خلال المجاعة التي ألمت بهم بسبب حصار بني مرين لهم ، أكلوا انواعاً من الحيوانات تنفر منها النفس[٥١].أن نقص الغذاء وانعدامه تحت مختلف الظروف هو الباعث الأهم في حصول المجاعة والتي تفضي الى حصول الأمراض والأوبئة، اذ أن المغرب يقع ضمن المنطقة المعتدلة الدافئة، وأن امطاره هي امطار حوض البحر الشامي (المتوسط).

المبحث الثاني

الآثار الاجتماعية للأمراض والأوبئة على سكان المغرب

ان وقوع أحداث ما في أي مجتمع، لاسيما اذا كانت من نوع الحوادث الكارثية، فبالتأكيد سيكون لها واقع سيء على ذلك المجتمع. ومن تلك الحوادث، الكوارث الطبيعية مثلاً أو المجاعة، والأمراض الوبائية. أن الأمراض خاصةً اذا تحولت الى أوبئة فأنها تشكل هاجس كبير يؤرق المجتمع المدني، سواء أكان في المدن أو الأمصار أو القرى، وأنه يؤثر على سلوكيات الناس وردود افعالهم. وأن تلك الحوادث تؤدي الى تغيير بنية المجتمع، ومن ذلك حدوث المجاعات التي تفضي الى الامراض، وبهذه الحالة فأن المجتمع ينحني لمثل تلك الأحداث لأنها تنحى به الى منحى مغاير لما كان عليه قبل وقوعها.

١. **المظاهر الناتجة عن الأمراض والأوبئة.**أن الآثار الناتجة عن الامراض والأوبئة في المجتمع المغربي تعددت لتشمل آثاراً اقتصادية واجتماعية ونفسية ، ففي الجانب الاقتصادي نجد أن حصول المجاعة، وارتفاع الأسعار تؤدي الى سوء الحالة الصحية لسكان المجتمع، وهذا طبيعي بسبب الانهيار الديمغرافي الناتج عن المجاعات، اذ يمس اليد العاملة ومن جميع شرائح المجتمع من تجار وفلاحين وحرفيين وعمال، بالمقابل فان تدهور حالة حيوانات النقل والماشية قد يؤدي الى شل النشاط الرعوي أيضاً ،فيؤدي ذلك الى ضعف الاقتصاد ووصوله الى حالة التدهور الاجتماعي[٥٢]. فلاريب أن الأمراض والاوبئة تخلق مجتمعاً وواقعاً مجتمعياً صعباً، فبالإضافة الى تدهور الوضع الصحي فأنها تؤدي الى زعزعة العلاقات الاجتماعية وتحدث شرخاً كبيراً بين فئات المجتمع. وأحياناً كثيرة تؤدي الأمراض الى التفريق بين الأزواج، فقد أفتى الفقهاء بالتفريق الزوجين اذا أصيب أحدهما بمرض الجذام مثلاً، والحجة أنه لا يستطيع تحمل رائحته، ومن ذلك ما أفتى به العقباني[٥٣]، خاصةً اذا كان الجذام متفاحشاً[٥٤].وذكر الونشريسي فتوى سُئل عنها محمد بن مرزوق عن رجل أراد الزواج على زوجته بعد أن مرضت مرضاً لا يستطيع بسببه معاشرتها وخاف على نفسه الوقوع في الزنا، هل يحق له الزواج بعد أن كان قد وعد زوجته الأولى بأن لا يتزوج عليها[٥٥].هذا وقد كان للأمراض الوبائية آثار دينية ، اذ سُئِل بعض الفقهاء عن رجلٍ مريض لا يستطيع الوضوء بالماء لأنه يضره، فهل يتعين له التيمم[٥٦]، وقد قال بعض الفقهاء لو أنني نزل بي مثل ذلك لفعلت ما يجب

فعله[٥٧]. لقد حاول الفقهاء في مثل تلك الحالات إيجاد الرخص حتى يخففوا عن الناس ما هم فيه من البلاء.ومن الآثار الاجتماعية للأمراض الوبائية، الجانب النفسي، اذ أن الأمراض بعد انتقالها الى أوبئة تخلق مجتمعاً غير مستقر نفسياً، مجتمعاً خائفاً، ليس من الوباء فقط ، وانما خوفاً من الله، لاسيما اذا كان المجتمع متفشي فيه المنكرات[٥٨].ورُوِيَ عن تاجرٍ من تجار بجاية الأغنياء عمد في زمن الوباء وهو بحال صحة قبل أن يمرض الى كتابة عدة وصايا لورثته، والاقرار بالديون التي هي عليه حتى يبرئ ذمته[٥٩].ومن الطبيعي أن تصدر عن المجتمع الذي يعاني من الأمراض والأوبئة سلوكيات غير عادية، قد تؤثر على بعض العلاقات الاجتماعية، اذ ذكر المازوني حادثة مفادها أن رجلاً كان مريضاً مرضاً شديداً ترتب عليه فقدان عقله فقال لزوجته أنتِ عندي في عوض أمي وأختي، وعندما برئ من مرضه اعلموه بما قاله فانكر عليهم ذلك، وكان جواب الفقهاء بأن لا يلزمه.

٢. أثر الامراض والأوبئة على مجتمع العلماء.

أن الأزمات والحوادث والكوارث الطبيعية انما تخلق اهتماماً كبيراً داخل أي مجتمع تحدث فيه، فعلى مستوى مجتمع النخبة والفئات المثقفة المتعلمة والعلماء، تجد تجليات هذا الاهتمام تتضح من خلال ما تنتجه هذه الفئة من نتاجات علمية حول تلك الأحداث، ومنها الوباء، فما مدى اهتمام علماء وفقهاء وصلحاء المغرب الإسلامي بظاهرة الأوبئة؟ هل كانت مسألة العدوى والفرار من الوباء، خاصة وباء الطاعون، حمل جدل فقهي كبير بين فقهاء المغرب، وكيف كانت الفئة المثقفة تنظر الى الأوبئة والطواعين؟.لقد ألف حسن بن علي الخطيب القسنطيني كتاباً حول الطاعون أسماه «المسنون في احكام الطاعون»[٦٠]. كما ألف أحمد بن يحيى بن أبي بكر التلمساني ،المعروف بأبن أبي حجلة الأديب المشهور(ت٧٧٦هـ) كتاباً حول الطاعون بعنوان "الطب المسنون في دفع الطاعون»[٦١].

وفي وباء الطاعون الذي ضرب المغرب الأوسط بين سنة ٧٤٩هـ-٧٥٠هـ، فقد مات فئة كبيرة من فقهاء المغرب الأوسط، من بينهم (الخطيب حسن بن علي) والد أبن قنفذ، وقيل أنه في «سنة خمسين وسبعمائة وقع الوباء الأول العام في الأرض، وتوفي في هذه السنة الكثير من الفقهاء»[٦٢]. وذكر محمد بن مرزوق ذلك الوباء الذي نتج عنه وفاة فئة من صلحاء تلمسان الذين لا قو حتفهم فيه[٦٣] .

٣. عدوى الوباء ومسألة الفرار منه.

بالنظر لما يشكله الوباء من انتقال بالعدوى، وهذا ما أقره الأطباء المسلمون وفي جميع الأمراض الوبائية، اذ أن طريقة التأثير من شخص على آخر تختلف بحسب نوعية المرض، فبعض الأمراض تنتقل العدوى عن طريق ملامسة المريض واستعمال آنيته وفراشه والمجالسة الطويل المباشرة، وذلك لأن الأبخرة التي تتصاعد من جسده تكون متعفنة وتؤذي من حول المريض[٦٤].

يُعد ابن خاتمة الطبيب الفقيه من الذين سلموا بالعدوى وأقروا بوجودها ودافعوا عن رأيهم هذا، اذ قال: «الظاهر الذي لا خفاء به ولا غطاء عليه أن هذا الداء يسري شره ويتعد ضره، شهدت بذلك العادة وأحكمته التجربة، فما من صحيح يلابس مريضاً ويطيل ملابسته في هذا الحادث الا ويتطرق اليه اذايته، ويصيبه مثل مرضه عادة غالبة اجراها الله تعالى، والفعل في الأول والثاني للحق جل جلاله خالق كل شيء، نفياً للتوليد الذي يذهب اليه أهل الظلال وابطالاً للعدوى التي كانت تعتقدها العرب في الجاهلية واعلاناً للحق الذي قام عليه شاهد الوجود»[٦٥].لقد ورد في الأثر عن الرسول محمد ﷺ أنه قال: «**لا عدوى ولا هام ولا صفر، ولا يحل الممرض على المصح، وليحلل المصح حيث شاء، فقالوا يا رسول الله: وما ذاك؟ فقال رسول الله انه أذى**»[٦٦]. وقوله عليه الصلاة والسلام: «**لا يورد ممرض على مصح**»[٦٧] وقوله ﷺ: «**فر من المجذوم فرارك من الأسد**»[٦٨]. وعليه نجد أن ما ورد عن الصحابة في الطاعون الواقع بالشام ما ورد عن عبد الرحمن بن عوف، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**اذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه، واذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه**» [٦٩].وقد لخص ابن حجر العسقلاني آراء الفقهاء في موضوع العدوى في أربعة مذاهب اذ قال: «المحصل من المذاهب في العدوى أربعة: الأول أن المرض يعدي بطبعه صرفاً وهذا قول الكفار، والثاني أن المرض يعدي بأمر خلقه الله تعالى فيه، وأودعه فيه ينفك عنه أصلاً الا أن يقع لصاحب معجزة أو كرامة فيختلف، وهذا مذهب إسلامي لكنه مرجوح، الثالث أن المرض يعدي، لكنه لا بطبعه بل بعيادة أجراها الله فيه غالباً، كما أجرى العادة بأحراق النار، وقد يتخلف ذلك بأرادة الله تعالى، لكن التخلف نادر في العادة، الرابع أن المرض لا يعدي بطبعه أصلاً بل من اتفق له وقوع ذلك المرض فهو بخلق الله سبحانه وتعالى ذلك فيه ابتداءً ..... والذي يترجح في باب العدوى هو الأخير»[٧٠].اذن الفرار من العدوى الوبائية قد اختلف الفقهاء فيها، على اعتبار أن من يصبر على بلاء الوباء ولا يفر يكون أجره أجر شهيد[٧١]. ولهذا تشددوا في الأفتاء بجواز الفرار، وذلك لكي لا يكسر المسلمون الأصحاء قلوب الضعفاء والمرضى العاجزين عن الخروج، فيترك هؤلاء دون اهتمام، وهذا منهي عنه شرعاً لأن من واجبات المسلم على أخيه المسلم التمريض والغسل عند الموت والدفن[٧٢].وفي المنظور الطبي فأن الفرار من أرضٍ سادَ فيها وباء، فيه مضرة كبيرة على المرضى، لأنه يصاحبه حركة شديدة، وهذا مضر لهم، كما أن دخول الأصحاء الى بلد الوباء فأيضاً فيه مضرة كبيرة على الأصحاء.

٤. **أثر الأمراض والأوبئة على الحياة العلمية والثقافية.**أن تأثر طبقة العلماء بما يؤثر على البيئة له أثرٌ سيء على النشاط العلمي والثقافي لأي بلد، اذ أن موت العلماء أو الهجرة التي تصاحب المرض والوباء، يؤثر سلباً على الحياة الثقافية، منها تعطيل فرص الحصول على الدروس العلمية، سواءً في المدارس أو المساجد، أو الكتاتيب، فقد أثر الوباء الذي تعرضت له مدينة تلمسان على سير الدراسة،

اذ أدى الى هجرت بعض المؤدبين وهلاك اغلب الصبية[٧٣]. فذُكر أن مرض الطاعون الذي ضرب بلاد المغرب وفتك بأهله اذ مات فيه عدد كبير من الفقهاء والعلماء ومنهم شيوخ أبن خلدون ووالديه، فذكر: «ولم أزل منذ نشأت وناهزت مكباً على تحصيل العلم حريصاً على اقتناء الفضائل متنقلاً بين دروس العلم وحلقاته، الى أن جاء الطاعون الجارف وذهب بالأعياء والصدور وجميع المشيخة وهلك أبواي رحمهما الله»[٧٤]. ويوصف أبن خلدون حالته النفسية عقب هذا الوباء فيقول: «وخرجت معهم أول سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة وكنت منطوياً على مفارقتهم لما أصابني من الاستيحاش لذهاب أشياخي وعطلتي عن طلب العلم»[٧٥]. أن ما تعرض له أبن خلدون يعطينا صورة جلية عما كانت عليه الحياة الثقافية والعلمية لعموم مدن المغرب العربي، وهذا حال جميع البلدان الإسلامية.هذا وقد يؤثر المرض الوبائي على الجانب العمراني، الذي تبنى فيه ثقافة الفكر المغربي في الفنون المعمارية، وفي ذلك ذكر أبن خلدون بقوله: «وهذا الى ما نزل بالعمران شرقاً وغرباً في منتصف هذه المائة الثامنة من الطاعون الجارف الذي تحيف الأمم، وذهب بأهل الجيل، وطوى كثيراً من محاسن العمران ومحاها..... وكأني بالمشرق قد نزل به مثل ما نزل بالمغرب، لكن على نسبته وقدر عمرانه»[٧٦].وتختلف الإصابة بالوباء من مجتمع لآخر وبحسب طبيعة كل مجتمع ونمط عيش أفراده، فالمناطق الآهلة بالعمران اكثر عرضة من غيرها نظراً لتولد العفن والرطوبات التي تفسد الهواء، وقد ضرب لنا أبن خلدون في ذلك مثلاً ببعض المدن مثل مصر بالمشرق وفاس بالمغرب[٧٧]. وذكر أيضاً: «والبلد اذا كان كثير الساكن وكثرت حركات أهله فيتموج الهواء، وتحدث الريح المتخللة للهواء الراكد، ويكون ذلك معيناً له على الحركة والتموج، واذا خف الساكن لم يجد الهواء معيناً على حركته وتموجه، وبقي ساكناً راكداً، وعظم عفنه وكثر ضرره»[٧٨].

المبحث الثالث

التدابير التي أتبعت لمواجهة الأمراض والاوبئة وطرق مكافحتها

أولاً: دور السلطة.

لقد كان للدولة دور في زمن وقوع الامراض الوبائية، ويكون ذلك نابعاً من مبدأ الحفاظ على كيان الدولة ووجودها وتثبيت أركان الملك[٧٩]، وذلك من أجل الحصول على شرعية للحكم[٨٠]، والهدف منه بالأساس لكسب الرعية وموالاتهم بعد الوقوف الى جانبهم في أوقات المحن، والنظر في أحوالهم عندما تحل بهم كارثة سواءً من جوع او مرض او غير ذلك من الازمات[٨١]. ذُكر أن الخليفة المستنصر الموحدي، قام بجهود كبيرة لتفادي المجاعة التي حلت بالمغرب سنة ٦١٦هـ/١٢١٩م، اذ امر بفتح مخازن الطعام الذي جمعه طوال سنوات الرخاء والخصب وتوزيعه على الناس[٨٢]. وكذلك قام بنفس الدور السلطان الزياني أبو تاشفين، أيام المجاعة التي وقعت

سنة٧٧٦هـ/١٣٧٤م، اذ ذُكر أنه أمر: «بفتح أهراء الزرع وإباحة بيعه للناس بعد الحط من سعره الذي اقتضته المجاعة رفقاً بالناس وحفظاً لنظام حياتهم»(٨٣).يبدو أن الإجراءات التي كان يتخذها السلاطين والحكام من ادخار للطعام في أوقات الرخاء هو كأجراء احترازي لما قد يحل بالبلد أو تنزل به الكوارث، لذلك نجد أهل تلمسان وسلاطينها اعتنوا بتخزين الطعام في الأهراء والمطامير، وعلى غرارهم سعت مناطق ومدن المغرب على ذلك، اذ ذُكر أن «الحنطة تقيم بها في مطاميرها مائة سنة لا تفسد»(٨٤)أن عملية التخزين للمواد الغذائية القابلة للتخزين، انما هي عادة بارزة عند أهل المغرب، فلا تكاد تخلو أسرة مغربية من هذا الأجراء الاحترازي، والقصد منه مواجهة حالات التعرض للكوارث ومنها الأمراض الوبائية على سبيل المثال، وقيل أنه كانت تحدث منازعات بين الأفراد بسبب تعرض مخازنهم للتعدي والاغتصاب والتلف(٨٥).

ثانياً: دور الفقهاء والعلماء.

لقد كان لأهل العلم في بلاد المغرب العربي، العلماء والفقهاء والقضاة منهم بخاصةً دور كبير في الإفتاء وإصدار الأحكام لا عطاء الرخص للناس لأجل التخفيف من الآثار النفسية وقت الأزمات، اذ أجاز الفقهاء بيع بعض الأراضي المحبسة على الفقراء وصرف ثمنها عليهم زمن الشدة خوفاً عليهم من الهلاك جوعاً(٨٦).وقد اجتهد أحد قضاة المغرب الأوسط وباع قاعة كانت ملكاً لرجل غاب عن وطنه، وصرف ثمنها على أولاده في وقت المجاعة، وأستشيره قاضي الجماعة قاسم العقباني في صحة هذا الاجتهاد فأقر صنيعه(٨٧). كما وقف الفقهاء والقضاة بوجه التجار ومنعوهم من احتكار السلع زمن الأوبئة والكوارث، اذ كانوا يحثونهم على اخراج الطعام المدخر وبيعه في الأسواق وبأسعار معقولة لسد حاجة الناس، كما انهم شددوا العقاب على التجار اذا ما تبين امتناعهم عن اخراج السلع المدخرة(٨٨).هناك إشارة الى أن دور الفقهاء والمحتسبين في مراقبة الأسواق قد غاب في أوقات المجاعات، لاسيما وانه يحدث فيها احياناً بيع اللحوم المحرمة، كلحم الميتة وبعض الحيوانات المحرمة، وعلى ما يبدو أن هذا الغياب نابع من ايمان الفقهاء بمبدأ «الضرورات تبيح المحظورات»، وهذا الدور مناط بالمحتسب، فهو الشخص المسؤول عن منع بيع المحظورات والمحرمات(٨٩).

ثالثاً: دور الطب والأطباء في مواجهة الأمراض والأوبئة.

أن الرعاية الصحية والاهتمام بالناحية الطبية نابع من تطور الحياة الثقافية والعلمية في بلاد المغرب العربي. اذ أن الاهتمام بصحة المجتمع لم تكن لتقتصر على الأطباء المجازين في ممارسة التطبيب، بل كان للطب الشعبي دور في تقديم العلاج اللازم للوقاية من الأمراض والأوبئة، ويجب أن لا نغفل دور الأولياء في معالجة بعض الحالات، لاسيما وهو يكون دور المعالج النفساني وذلك لما يؤمن به الناس ويعتقد. اذ أن علم الطب يقوم أساساً على التجربة والمعاينة الحسية

والاستقراء[٩٠]. والطب هو الذي: «يبحث في بدن الأنسان من جهة ما يصح ويمرض والتماس وحفظ الصحة وإزالة المرض»[٩١]. وعليه وجب فيمن يكون طبيباً أو يتولى هذه المهنة بالدرجة الأولى انساناً عالماً عارفاً حاذقاً بأصول المهنة.لقد برع أطباء المغرب الإسلامي الذين استمدوا علومهم على يد أبرع أطباء العرب المسلمين كأطباء المشرق والأندلس[٩٢]. وبرز عدد كبير من الأطباء، منهم إسحاق بن عمران، ذكره أبن أبي أصيبعة اذ قال: «طبيب مشهور وعالم مذكور، كان بغدادي الأصل، ودخل افريقية في دولة زيادة الله بن الأغلب، كان طبيبا حاذقا متميزا بتأليف الأدوية المركبة بصيرا بتفرقة العلل، استوطن القيروان»[٩٣]. وأبو إسحاق الداني، أمين البيمارستان وطبيب بالحضرة مراكش[٩٤]، عاش في ظل دولة الموحدين[٩٥]. وعلي بن عتيق بن أحمد بن عبد الله الأنصاري الخزرجي[٩٦]. ومنهم أطباء البيت الموحدي، الناصر ثم المستنصر، الطبيب أبو عبد الله محمد بن سحنون المعروف بالند رومي[٩٧]، وهناك عوائل كاملة مارست الطب مثل، عائلة الطبيب أبن الجزار: «هو أبو جعفر بن إبراهيم بن أبي خالد، ويعرف بأبن الجزار، من أهل القيروان، طبيب أبن طبيب وعمه أبو بكر طبيب، كان قد وضع على باب داره سقيفة أقعد فيها غلاما له يسمى برشيق، أعد بين يديه جميع المعجونات والأشربة والأدوية»[٩٨]، وعائلة أبن زهر الأندلسية، التي اشتهر منهم، أبو العلاء أبن زهر وأبو مروان بن أبي العلاء بن زهر والحفيد أبو بكر بن زهر وأبو محمد بن الحفيد أبي بكر بن زهر[٩٩].أن تحسن الوضع الصحي لأي مجتمع من المجتمعات، يقاس أساساً بكفاءة أطبائه ومقدرتهم على تأمين مستوى صحي عالي وخالي من الأمراض والأوبئة، لذلك اتخذ أطباء المغرب الإسلامي من الطب الوقائي كقاعدة أساسية لحفظ صحة الناس قبل وقوع المرض، إضافة الى توجيه الناس وحثهم على النظافة والمحافظة على صحة البيئة وهوائها من التلوث، فكانوا يقدمون النصح للناس باتباع نظام غذائي يلاءم كل فصل من فصول السنة[١٠٠].لقد تمكن أطباء المغرب من وضع وصفات طبية لمعالجة أمراض وبائية وغير وبائية، فالأساس في الطرق العلاجية، هو اصلاح الأهوية البيئية وذلك باستعمال الطيوب الباردة والرياحين[١٠١]، وأساس العلاج الوقاية، اذ تبدأ الوقاية بتنظيف البيت من القاذورات ثم يتم رشه بالخل وماء الورد أو بماء العدس والخل والطين الأرميني، ويفرش كذلك بالآس والطرفا، ويبخر بالصندل والعرعر والسنداب وقرن الماعز والعود والميعة، ويعلق فيه الياقوت والنارنج والبصل والنعناع والتفاح، وتفتح نوافذه لتبدل الهواء وخروج الهواء الذي يحمل الوباء[١٠٢].أتبع الأطباء في أوقات الأمراض الوبائية وسائل صحية وحمية غذائية خاصة للمرض والاصحاء على حدٍ سواء، وذلك بأكل الأغذية المعتدلة المائلة الى البرودة والجافة كالعدس والفول والبقول والفواكه الباردة الجافة[١٠٣]. وكان أبن زهر يؤكد على الاكثار من أكل خبز الحنطة الجيد الاختمار والمضاف اليه خل عندما يعجن، كما أن أكل الثوم والرمان المز(الذي يميل بين الحموضة والحلاوة) مفيد جداً للأمراض الوبائية[١٠٤].لقد منع الأطباء وقت الأمراض الوبائية أكل

اللحوم والحلويات والألبان بجميع أنواعها وجميع الفواكه الرطبة[١٠٥]، وينصح الأطباء ببعض الأشربة المفيدة وقت الوباء، مثل: شراب الطين الأرميني وشراب البنفسج وشراب السكنجين[١٠٦] (يتكون من الخل والعسل والشراب المصري)ويجب الاكثار من أكل الكزبرة خضراء أو يابسة والحصرم(العنب الأخضر واليابس) والليمون الدقيق وحامض الأترج وقشرها وحبها لأن كل ذلك ينفع من مضرة المياه المتلوثة، مع تجنب أكل الحوت لأنه يساعد على مضرة المياه الرديئة للإنسان[١٠٧]. ولمعرفة الوباء فقد برع الأطباء في اكتشافه، اذ يضعون بيضة أو بيضتين قرب مكان نوم الشخص المشكوك بمرضه ولمدة أربع وعشرين ساعة، فاذا فسدت فأنهم يؤكدون عند ئذ أنه مصاب بمرض وبائي[١٠٨].كما اتخذ الأطباء تدابير علاجية لمواجهة مرض الطاعون والأمراض الوبائية الأخرى منها منع المريض من ممارسة الرياضة والحمام وكل ما يجهد بدن المرضى، لأن أبدان هؤلاء المرضى تحتوي على فضلات رديئة فتثيرها الرياضة والحمام، ويكون ذلك خطراً عظيماً على جسم المريض[١٠٩]وهناك الطب الشعبي أو العلاج الشعبي الذي كان يمارسه العشابين نتيجة اكتسابهم الخبرة بدون دراسة ولا يستند الى علم، وانما اكتسبوها من ممارسة الاستطباب بناءً على التجربة التي توارثوها جيل عن جيل، واحياناً تجدي نفعاً واحياناً تخيب[١١٠]. وهذا النوع من الممارسة الاشفائية يكون عادةً في البوادي اكثر من المدن[١١١].لقد عرف المجتمع المغربي الطب الشعبي هذا الذي كان يعتمدون عليه في علاج العديد من الأمراض، ولم تكن مدينة تخلو منهم، والذي ساعدهم في نجاحهم بممارسة الاشفائية وفرة النباتات الطبية في أغلب بقاع البلاد.

وقد اشتهرت قبيلة بني أبي شعيب من بني وجهان من أعمال بجاية باستعمال نبات الآطريلا لمداواة البهق، وكان الناس يقصدونهم لذلك، وكانوا قد أخفوا منافع هذه النبتة عن الناس، الى أن عرفها بعض الناس فانتشرت وعرف عظم منفعتها لمداواة هذا المرض المزمن[١١٢].

الخاتمة

أن الغاية والهدف الأساسي للمجتمعات البشرية هو تحقيق بيئة صحية سليمة خالية من الأمراض والاوبئة لأجل استيطانها والاستقرار فيها. ويعتمد تحقيق هذا المبدأ على السلطة التي تدير شؤون ذلك المجتمع.من خلال بحثنا هذا تتضح لنا جملة من الأمور التي تؤدي الى وقوع الأمراض والتي تنتقل بدورها الى أوبئة تفتك بالمجتمع منها:

١. البيئة السليمة لبناء المدن، اذ اكد العلماء والفقهاء والأطباء على تخير الأماكن الصحية التي تصلح كمواضع مدن، فيجب أن يكون الموضع غير موبوء أو عرضة لوقوع الأمراض، فلا يكون بالمرتفع ولا بالمنخفض.

٢. يجب أن يتمتع المكان بهواء سليم عليل خالي من الرطوبات والعفن.

٣. يجب أن يكون الموضع محاط بالأرباض الزراعية كي تخلق مناخاً صحياً، وذا مردود اقتصادي، فيما لو تعرضت المدينة لظرفٍ طارئ، فيسهل أيصال الأغذية والمؤن لساكنيها.

أن لأدارة البلاد بعامة والمدن بخاصة الدور الرئيس في الحفاظ على المستوى المعاشي للبلاد وقت الكوارث أو أي تهديد طبيعي داخلي أو خارجي، وعدم تكبيل أهله بالضرائب التي تثقل كاهلهم فتؤدي الى الفقر الذي يؤدي الى حصول المجاعة فتفتك بسكانه.لعوامل الطبيعة وتقلباتها الأثر في حدوث الأمراض التي تفضي أحياناً الى سياسة خارجة عن إرادة أهل البلاد، اذ تدفع بالتجار الى ممارسة الاحتكار الذي يؤدي الى صعوبة حصول الناس على قوتهم مما يؤدي الى وقوع المجاعة نتيجة لارتفاع أسعار المواد بسبب الاحتكار.أما في الجانب العلمي والثقافي، فأن وقوع الأوبئة لها تأثير سيء على الواقع العلمي، اذ تؤدي الأوبئة الى كثرة الوفيات ومنهم من العلماء والفقهاء، مما يسبب ندرة فرص التعليم لاسيما وأن الكثير من العلماء يضطر الى الهجرة فراراً بحياته من الموت.

ولأجل تحقيق السلامة البيئية يجب مراعات الآتي:

١. المحافظة على البيئة، وهذه مسؤولية السلطة بالدرجة الأولى، ثم المجتمع بالدرجة الثانية.

٢. المحافظة على البيئة المنزلية والالتزام بتعليمات الأطباء واتباع وصايا النبي في المجال الطبي لاسيما في تطهير المنزل.

٣. عدم ترك القمامة متراكمة في الأماكن العامة والساحات حتى لا تعمل على تلوث الهواء.

٤. عدم ترك جثث الحيوانات الميتة في المدن كي لا تتحلل وتتفسخ فتؤدي الى تلوث الهواء وفساده وبالتالي يؤدي الى الأمراض الوبائية.

٥. العمل على الاكثار من المساحات الخضراء التي تساهم بدرجة كبيرة في تلطيف المناخ وجعل الهواء صالحاً نظيفاً.

هوامش البحث

(١) الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية) ج٣/ ص١٢٠١.

(٢) ابن زهر: أبو مروان بن ابي العلا (ت ٥٠٠هـ)، كتاب الأغذية، ص١٤٣.

(٣) تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد، الطب والأطباء في الأندلس ص١٦٢.

(٤) مقنعة السائل عن المرض الهائل ص٣٨.

(٥) ابن خاتمة، المصدر السابق ، ص١٦٢-١٦٣.

(٦) ابن خلدون: عبد الرحمن (ت ٨٠٨هـ)، المقدمة، دار الفجر للتراث، القاهرة،ص٣٧٠.

(٧) أحمد بن خالد الناصري، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى.

(٨) المقدمة، ص١١٣.

(٩) المصدر نفسه، ص١١٤.

(١٠) المصدر نفسه.
(١١) سارا تشي، علم الأوبئة، ترجمة :أسامة فاروق حسن،للتعليم والثقافة، ٢٠١٥م ، ص١٥.
(١٢) ابن خلدون، المصدر السابق، ص١١٤.
(١٣) lerroy Laurie : history du climat du puis l an mil , Paris , 1967.
(١٤) فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، موفم للنشر، الجزائر، ٢٠٠٢م، ص١٦٧.
(١٥) حسن بن محمد المعروف بليون الأفريقي، وصف افريقيا، مطبعة وراقة البلاد، ج١/٧٩-٨٠.
(١٦) الوزان، وصف افريقيا، ج١/ ص٨١.
(١٧) سورة الأنبياء، الآية :٣٠
(١٨) علي: حليمي عبد القادر ، جغرافية الجزائر طبيعية- بشرية- ،٩٤- ٩٥.
(١٩) مصطفى: شاكر ، المدن في الإسلام،الكويت،١٩٨٨م، ج١/٤٣٨- ٤٣٩.
(٢٠) البلاذري: أحمد بن يحيى (ت ٢٧٩هـ)، فتوح البلدان، ص٣٤١.
(٢١) سلوك المالك في تدبير شؤون الممالك على التمام والكمال ص١١٨.
(٢٢) معجم البلدان ،دار صادر، بيروت، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م، ج١/٣٣٩.
(٢٣) العمري: فضل الله (ت ٧٤٩هـ)، مسالك الأبصار في ممالك الامصار، القاهرة،٥٥.
(٢٤) ياقوت الحموي، المصدر السابق ، ج٢/٤٤.
(٢٥) مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار،ص١٧٦.
(٢٦) البلدان، وضع حواشيه محمد أمين ضناوي، ص١٨٦.
(٢٧) المهذب الرائق في تدريب الناشئ من القضاة وأهل الوثائق- ،ج١١٧/٧٢٦.
(٢٨) الاستقصاء لأخبار دول المغرب الاقصى، ج١/٢٣٦.
(٢٩) المصدر نفسه.
(٣٠) تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان ص١٠١.
(٣١) البيان المغرب في اخبار الأندلس والمغرب٣٥٤ص.
(٣٢) لقط الفرائد من لفاظة حقق الفوائد، ج ٢/٨٤٢
(٣٣) ابن خلدون، المقدمة، ص٣٧٠.
(٣٤) ابن زهر ،التيسير في المداواة والتدبير، تحقيق: ميشيل الخوري، ص٤٥٤-
(٣٥) ابن الحاج النميري، فيض العباب وافاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة ص٢٥٨-٢٥٩.
(٣٦) ابن زهر ، كتاب الأغذية، ص١٤٣.
(٣٧) ابن الربيع، سلوك المالك، ص١١٨.
(٣٨) ابن زهر، التيسير والمداواة، ص٤٥٠.
(٣٩) المصدر نفسه، ص٤٥٣.

(٤٠) المقدمة، ٣٧٠.

(٤١) ابن خاتمة، تحصيل غرض المقاصد ،ص١٧٠.

(٤٢) الأنطاكي: داوُد بن عمر، بغية المحتاج في المجرب من العلاج ، والتوزيع ،ص٣٣٣.

(٤٣) ابن زهر، التيسير في المداواة والتدبير، ص٤٥٣.

(٤٤) الطب النبوي (جزء من كتاب زاد المعاد لابن قيم الجوزية)، دار الهلال، بيروت، ص٣٣.

(٤٥) بروديل: فرنان، المتوسط والعالم المتوسطي ص٦٧.

(٤٦) المقدمة، ص٣٧٠.

(٤٧) المقدمة، ٣٥١س

(٤٨) السلاوي، الاستقصاء، ج١/ ص٢٣٧.

(٤٩) ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب(قسم الموحدين)، ص ١٨٤

(٥٠) ابن زهر، التيسير في المداواة، ص٤٥٩، كتاب الأغذية، ص١٤٥.

(٥١) السلاوي ، الاستقصاء، ج٣/٨٦.

(٥٢) المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط ص٢٢٤.

(٥٣) الزركلي: خير الدين ،الأعلام، ج٣/ ص١٠١.

(٥٤) المازوني، الدرر المكنونة في نوازل ما زونة، مخطوط المكتبة الوطنية بالجزائر، ١/٢٦٣أ.

(٥٥) المعيار المعرب والجامع المغرب من فتاوى علماء أفريقيا والأندلس، ج٣/ ص١٧.

(٥٦) المازوني، الدرر المكنونة، ١/٦٢ب.

(٥٧) ابن القاضي ، لقط الفرائد، ٢/٧٣١.

(٥٨) ما رواه الواعون في اخبار الطاعون، تحقيق: د. محمد علي الباز، دار القلم، ١٤١٨هـ.

(٥٩) المازوني، المصدر السابق، ٢/٨٧أ- ٩٣أ ، الونشريسي، المصدر السابق، ٦/١٤-١٥.

(٦٠) كتاب الوفيات ص٣٥٥-٣٥٦.

(٦١) معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ص٣٦٤-٣٦٥.

(٦٢) ابن قنفذ، الوفيات، ص٣٥٤.

(٦٣) المناقب المرزوقية، دراسة وتحقيق: ، ص١٨٧.

(٦٤) ابن خاتمة، تحصيل غرض القاصد، ص١٧٩-١٨٠.

(٦٥) ابن خاتمة، تحصيل غرض القاصد، ص١٧٩.

(٦٦) الموطأ ، ج٢/ ص٩٤٦.

(٦٧) صحيح مسلم، ج٤/ ص١٧٤٣ رقم الحديث ٢٢٢١.

(٦٨) الجامع الصحيح المختصر،ج٢/ ص٢١٥٨ حديث رقم ٥٣٨٠.

(٦٩) صحيح ابن حبانج٧/ ص٢١٨ حديث رقم ٢٩٥٣.

(٧٠) شهاب الدين أحمد بن علي(ت٨٥٢هـ)، بذل الماعون في فوائد بتونس، ورقة ١- ٨٩.

(٧١) السيوطي، ما رواه الواعون في اخبار الطاعون، ورقة ١٦٦أ- ١٦٣ب.

(٧٢) الونشريسي، المعيار المعرب، ٣٥٦/١١-٣٥٨.

(٧٣) مزدور، المجاعات والأوبئة، ص٢٤٣.

(٧٤) التعريف بأبن خلدون، ٦٤-٦٥.

(٧٥) المصدر نفسه، ٦٥.

(٧٦) المقدمة، ٥٢.

(٧٧) المقدمة، ص٣٧٠.

(٧٨) المصدر نفسه، ص٤٢٣.

(٧٩) بدائع السلك في طبائع الملك، بغداد،١٣٩٧هـ/١٩٧٧م، ص٢٠١.

(٨٠) البزاز: محمد الأمين، حول المجاعات والاوبئة بالمغرب، ص٩٩.

(٨١) الشهب اللامعة في السياسة النافعة،الصفحات ١٥٦،١٦١،١٨٩،١٩٥،١٢٣،١٣٥.

(٨٢) ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب، (قسم الموحدين)، ٢٦٦ـــ٢٦٧

(٨٣) بن خلدون: أبو زكريا يحيى بن محمد الحضرمي بغية الرواد ج ٣٢٦/٢.

(٨٤) الإدريسي: محمد بن محمد بن عبد الله (ت٥٦٠هـ)، ج١/ص٢٥٦.

(٨٥) المازوني، الدرر المكنونة، ٨/٢ب،١٠أ،٢٠أ،٤٠أ،٨٥أ.

(٨٦) المصدر نفسه، ٦٠/٢أ.

(٨٧) الونشريسي، المعيار المعرب، ١٠٠/٥.

(٨٨) العقباني: العدد ١٩، ١٩٦٥-١٩٦٦، ١٢٧-١٣١.

(٨٩) السقطي، آداب الحسية، نشر: ليفي بروفنسال وج. كولان،١٩٣١م، ص٨-١٠.

(٩٠) ابن الخطيب، مقنعة السائل عن المرض الهائل،٤٣.

(٩١) ابن الأكفاني الأنصاري،٢٢١.

(٩٢) السائح: الحسن، الحضارة الإسلامية في المغرب، ط٢، البيضاء، ١٩٨٦م، ص٢٢٩-٢٣١.

(٩٣) موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم الخزرجي(ت٦٦٧هـ)، الأطباء، القاهرة، ص٢٢٤.

(٩٤) ياقوت الحموي، معجم البلدان،٩٤/٥.

(٩٥) ابن أبي أصيبعة، عيون الانباء، ص٢٥٤

(٩٦) التكملة لكتاب الصلة، تحقيق: عبد السلام الهراسي، دار الفكر، بيروت،١٤١٥هـ،٤٨٢/٢

(٩٧) أبن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ٢٥٥.

(٩٨) المصدر نفسه، ص٢٢٦.

(٩٩) المصدر نفسه، ص٢٤٥.

(١٠٠) (اسهام في دراسة المجال والمجتمع والذهنيات)، دار الطليعة، بيروت، ٢٠٠٧م، ص٢٢٣.

(١٠١)ابن الخطيب، مقنعة السائل عن المرض الهائل، ص٣٨.

(١٠٢)الرصاع: محمد، الأجوبة التونسية على الأسئلة الغرناطية، ص١١٥. المحتاج،٣٣٣.

(١٠٣)ابن الخطيب، المصدر السابق، ص٣٨ ، الأنطاكي، المصدر نفسه،٣٣٣.

(١٠٤)ابن زهر، التيسير في المداواة،٤٥٣-٤٥٦.

(١٠٥)المصدر نفسه.

(١٠٦)مجهول: رسالة في معالجة الوباء قبل نزوله، مخطوط مكتبة البلدية بقرطبة، رقم٢٨٤٣٩ R،

(١٠٧) ابن زهر، التيسير في المداواة، ص٤٥٦.

(١٠٨) الأنطاكي، بغية المحتاج، ٣٣٣.

(١٠٩) أبن قيم الجوزي، الطب النبوي،٤٣.

(١١٠) أبن خلدون، المقدمة،٤٥٥.

(١١١) المصدر نفسه.

(١١٢) أبن البيطار: ج١/ ص٦.